

# وقفات عند محبتي الإسلام الغزالي

بقلم الدكتور عبد القادر محجوب

للغزالي ، لان فيها توكيدا لما نقضه وهاجمه ، وبخاصة حول التصريح بقدم العالم ، ونفى العلم القديم بالجزئيات ، والاتحاد او الامتزاج بالله . واذا كان بعض العلماء يرون ان مشكاه الانوار ، او كثير من فصولها له فقد رايت بنفسي مخطوطا بدار الكتب المصرية في مجموعة ( اخلاق نيمود - ٢٠٦ - تصوف حليم - ١٨٤ ) نفس مشكاة الانوار وبالاسم منسوبة لابن الفقيه علاء الدين الحافظ المتوفى سنة ٨٧٧ هـ بعد الغزالي باكثر من ثلاثة قرون ونصف .  
دابيا : حديه هرب الغزالي ودعوى خوفه وانزاله :

زعم الناقد الحصيف من عندياته ان الغزالي دافع عن وجهة نظر وحكم السلاجقة السنيين ، حرصا على مكانته العلمية الدنيوية ، في جامعي بغداد ونيسابور النظامية ، وانه هرب حين انكسرت شوكتهم وزعم انه انزال لما اهتز يقينه ، واهتزت معرفته الايمانية . والواقع ان هذه الدعوى فارغة ، فقد استعان الغزالي بهم كقوة حاكمة ممتازة ، لحماية مذهب اهل السنة ، ازاء التيارات العارمة الخبيثة ، التي جاء بها القرامطة والباطنية من الباطنية على اختلاف شيعهم الاسماعيلية وغير الاسماعيلية ، والتي جاء بها غر القرامطة لدى مذاهب الدهرية ، والمانوية ، والثنوية ، والصابئة وغيرهم ، واذا التيارات العقلية المتطرفة ايضا ، تلك التي ترسب من مذهب المعتزلة ، اولئك الذين داهموا بحق وصدق عن ديانه العسند والتوحيد ، واذا التيارات السلفية الجامدة التي تحجرت وتوقفت عند حرفيه النصوص ، بغير فهم احيانا كثيرة ، وبفهم احيانا قليلة . اريد ان افول للناقد والقارئ الحصيف مما ان الغزالي انكر التقليدي من البداية ، حتى منذ صفره عندما سرق للصوص تعليقه ففسر التقليدي ، والتلمين ، واعتمد على انهم والتفكير والعقل بعقل هادىء لا بعقل محرق محترق حارق !! . وقد اكسد الغزالي منهجيته حين فرأ واستوعب كل المذاهب الهدامة للفكر الاسلامي دخيلة او منفصلة ثم بدأ يخلها فقرة فقرة ويرد عليها ، كما حدثنا في اعترافاته ، وكما عرفناه في جدياته . ومن العقل ان نؤكد انه قد اصابه ولا شك مما قرأ رشاش من كثير من التيارات لكنه لم ينتقص ذروة واحدة من اصول ايمانه وعيدينه ، لكن ليس من العقل اطلاقا ان ناخذ الغزالي بما اصابه من رشاش فؤكذ ان هذا الرذذ هو فكرة الاصول او هو منهجه او هو معتقده ، فان للتجارب بكل اخطائها وصواباتها ثمنها ، عبر الوصول الى الحقيقة .

نصل من هذا الى القول بان الغزالي مرت به تجربة كالتي مرت بالقديس اوغسطين قبله ، وبديكارت بعده وكان الغزالي اعمق واقوى منهما حين اعتمد على الارادة لاثبات الوجود ، لاعلى الخطيا ، ولا على الفكر كما اعتمد اوغسطين وديكارت . نقول ايضا ان الغزالي لم يلجأ الى سلطان السلاجقة ، في قيامه بالعمل العلمي مناظرا ، ومعلما او لم يهرب حين انكسرت شوكتهم ، خوفا على نفسه ، او طمعا في منصب يود الرجوع اليه في الوقت المناسب ، وانما هو عاش ثورة عقلية واجه منها اول ما واجه سؤالا خطيرا هو : ما حقيقة ايمانك ؟ هل هو عن تقليدية ام عن اصالة . ولما ترددت اجابته ، وهزته حيرته هاجر بعقيدته الحائرة لينجو بما كمن فيها ، وليستعين بقوة فطرته في انقاذها والوصول بها عبر هذا الشك المنهجي الى ساحة اليقين التي لا يسبح فيها ضباب من شك ، ولا يرقى اليها ظل من خداع

قدم الاستاذ اسماعيل المهدي في العدين العاشر والحادي عشر من « الآداب » الكريمة اكتوبر ونوفمبر ١٩٦٨ ، مما اسماه دراسة جديدة ! لحياة الامام الغزالي وافكاره ، في حماسة طاغية مهرولة ، اصاعت كثيرا جدا من روائع لفنائه العقلية ، واقتت على تحقيقه ضبابا ربما غشى على كثير من عقول الدارسين من الشباب .

ولست هنا اذافع عن حجة الاسلام ، ازاء من هاجمه من القدماي والمحدثين - فالغزالي ليس في حاجة الى دفاعي او انصافي ، لان ما قدمه من تراث صحيح ، وما سجله من اعترافات في كتبه الصحيحة يدحض ما نسب اليه وما دس عليه في كثير من الرسائل المدخولة او المنحولة . ولكن لفيما كريما من طلبتنا في قسم الدراسات العليا بجامعة الخرطوم وجامعة القاهرة بالخرطوم والجامعة الاسلامية بام درمان قدموا الي هذه الدراسة لمزينا اسماعيل المهدي ، وطلبوا بالحاح ثائر ان اعقب ولا املك الا ان استجيب لهذا البلاء ، راجيا لعزينا الكريم ولهم وللمجلة الزاهرة كل توفيق ، سائلا الله اللطيف والرعاية ، لكل من ظلم عقله او ظلمه عقله ، فسعى بدون علم ولا هدى ولا كتاب مبين الى ظلم الغزالي والاسلام في عقول الناس ...  
أولا : حول كتب الغزالي ورسائله :

● اعتمد الناقد الحصيف في هجومه على الغزالي ، على هذه الكتب في الفالب :

- أ - المصنون به على غير اهل .
- ب - مشكاة الانوار .
- ج - معارج القدس .
- د - معراج السالكين .
- هـ - الرسالة اللدنية .
- و - بداية الهداية .

واؤكد للناقد ان هذه الكتب مشكوك في صحة نسبتها للغزالي ، واذا كان للغزالي نصيب منها او من بعضها بالاسم ، فان في كثير من فصولها ، ما يتناقض مع اتجاهه ونهجه للذين اتضح في كتبه الاصيلية ، امثال المنقذ ، والتهافت ، والرد على الباطنية . واذا كان بعض المستشرقين وتابعيهم ، قد نسب هذه الكتب للغزالي بحكم الرواية والنسخ او الطبع والنشر ، دون اي تحقيق علمي مقارن ، كما رأى امثال ماسينيون ، ( ماسينيون : مجموعة نصوص ٦٠ - ٧٠ ) والدكتور عبد الرحمن بلوي مثلا ( مؤلفات الغزالي ١٨ ) ، ومونك في : امشاج من الفلسفة العربية واليهودية (٣٧٩) اذا كان هذا قد حدث من بعض المستشرقين وتابعيهم فسان ابن تيمية امام السلفية الاكبر فد القى ظلال الشك على كتاب المصنون به على غير اهل وغيره حين ذكر ان ما فيه من اسرار الحقائق ، فيه قول الصابئة ، وان هذا يستبعد على ابي حامد ، واكد ان هناك طائفة من العلماء يستبعدون ذلك الكتاب من كتبه وغيرها ، ويكذبون ثبوته عنه ( ابن تيمية : نقض المنطق ٤ - ٥٧ ) . كما نفسى ذلك ايضا السبكي في طبقات الشافعية ص ٤ - ١٣١ . كما اكسد الاساتذة الاجلاء الدكتور ابراهيم منكور ( مجلة الرسالة ١٩٣٦ عدد ١٤١ - ١٤٢ ) ، والدكتور محمود قاسم ( مؤتمر الغزالي دمشق .. ) ، والدكتور محمد يوسف موسى ( تاريخ الاخلاق ١٩٣ ) - اقول ان هؤلاء الاساتذة وهم متخصصون قد شككوا في صحة نسبة هذه الكتب

### ثالثا : موقفه العقلي والذوقي من العقل :

والواقع الذي لا مرية فيه ان الفزالي قد اكد اننا لا نستطيع ان نعرف اسرار الحقائق ، او ان نعرف العالم كما هو في حقيقته ، بل الطريقة المحدودة التي بإمكاننا ان نعرفها او نعرفه بها . ان العلم حقا وصف صادق للحوادث الظاهرة ، اي للاشياء بالشكل الذي يسمح لنا في تركيب عقولنا ان نختبرها ، لكنه ليس في وسعه ان يبرر لنا اثبات او انكار أي شيء عن العالم الحقيقي ، أي العالم كما هو في ذاته ، كما يبدو لعقل كامل كعقل الله . ولقد سئل ناطق كما سئل الفزالي فاجاب كل منهما باسلوبه على انسا نملك قوى اخرى ، وهي ليست علمية وعقلية ( كما يقول ناطق مثلا ) بالمعنى الصحيح . انما ( هرطوبة وخطيرة في فعائيتها الى حد لا يمكن معه اهمالها واعتبارها مجرد تصورات وهمية . كما انها ستظل مستحصية على العقل ، اتي ان نفترض بان العالم في الحقيقة هو شيء مختلف عما يستطيع العلم البرهنة على وجوده . وعلى هذا فمتدما يعجز العقل عن الفهم ، او العلم عن الاثبات ، يحق لنا ان نركن الى البصيرة الوضيئة ، الى الايمان ) .

Kant : Critique of pure Reason XIX, XXX.

ولهذا نجد الفزالي بعد تجاربه يؤد في النهاية خطورة العقل المنطوق على العقيدة ، وعلى الدين ، وعلى الحياة ، ولهذا ربطه بالدين رباطا فلسفيا حين قال ان العقل شرع من انداخل ، والشرع عقل من الخارج وكان هذا الرباط رباطا عقليا معقولا . يقول الفزالي (الداعي الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل ، والمكتفي بمجرد العقل عن انوار القرآن والسنة مفرور ) ( والعقل كالاس ، والشرع كالبناء ، ولن يقنى اس ما لم يكن بناء ، ولن يثبت بناء ما لم يكن اس ... ) ( الفزالي : احياء : ص ٧٤ / ١ . ميزان العمل / ٢٠ - ٢٢ وانظر الدكتور محمود قاسم : مؤتمر الفزالي ١٧١/١٦٨ )

لقد عاش الفزالي في نفس العصر الذي عاش فيه المرعي والخيام اللذان وصلا بعقلهما او وصل بهما عقلهما اتي لا ادرية قاتلة ، قضت فيما قضت بعماء الارادة الكلية كما قال معهما وبعدهما بقرون فيلسوف التشاؤمية القاتلة شوبنهاور ( ١٨٦٠ م ) . ( د / عبد القادر محمود الفلسفة الصوفية في الاسلام : مصادرها ونظرياتها ومكانها من الدين والحياة ( ١٩٩ - ٢٩٨ ) ، ٦٠٥ - ٦٩٠ ) وانظر نه ايضا فلسفة الشك واللاادرية لدى المرعي والخيام : مجلة كلية الآداب م ٢٥ ص ٢ / ديسمبر / ١٩٦٣

فماذا كان يريد الناقد اللوذعي الأريب من الفزالي وقد وقف موقف الوسط العادل بين تطرف المنهج العقلي ، وجمود المنهج السلفي ؟ ثم ماذا يريد من قوله الخطير . ان الفزالي أو أهل السنة جميعا دون استثناء أعجزوا العقل ثم كفروا ليضعوا في النهاية الذوق الصوفي للعقلي ؟

ان ما يريده واضح وهو يعرفه ، وهو أمر فاضح حقا لاصحاب العقول ومناهج العقول ، التي لم تفهم أن الفزالي العظيم قد حكم العقل في المتناقضات ( فربما كانت أوهام شيطان ) كما يقول الفزالي ماضيا من المنهج العقلي الى المنهج النفسي التجريبي .

ابن خلدون : ( شفاء السائل / ٨٤ )

### رابعاً : دعوى التواكل والهروب من العمل والحياة :

اما هذه الدعوى العريضة فقد فهمت ، مما عرضه الفزالي في حياته من أحاديث ذم الدنيا ، أو من تفاسيره للآيات القرآنية أمثال : ( وما الحياة الدنيا الا متاع الفرور ) ( واللباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا .. ان الفزالي قد عرض ما عرض للترغيب والترهيب . واذا كان قد أورد حقا بعض التي لم تصح - ( وهو يعلمها ) - فقد أتى بها بنفس السبب . وهو لم يأت بها لاثبات حكم او للاستدلال على مبدأ . ذلك انه يذكر الآيات القرآنية التي يثبت بها ما تؤدي اليه من أحكام وقواعد . وهي على هذا الوضع كافية في الاثبات والاستدلال .. ثم يأتي بعد ذلك بالاحاديث وبقوال الصحابة والتابعين وأخبار

زعم الناقد ، كما زعم كثيرون غيره من قبل في القديم والحديث ، ان الفزالي قد جحد العقل ووضع مكانه الذوق الصوفي ، وذلك بعد خروجه من عزلته في منارة المسجد الاموي في دمشق ، وحتسى نهاية حياته في عزله الاخيرة . كما زعم ايضا ان الفزالي اعتبر الناس جميعا علماء وغير علماء عواما يجب الجاهم تماما عن علوم العقائد ، فهما خاطئا واهما لكناتبه الشهير الجاهم العوام عن علم الكلام .

ونقول ان الفزالي لم ينكر قيمة المحسوسات والمعطيات الحسية ، بل اكد بملاحظته العلمية ان الحواس لها قيمتها في المعرفة ولكنها فقط مجرد نوافذ للمعرفة لانها خداعة كما يقول مصطلحه الدقيق . وهو قد آمن بالعقل ولجا اليه في تجربته لينفذه . ونجح العقل في امور المحسوسات والماديات وما يلبسها فآمن به ، لكنه رآه لا يدري ما فوق وما وراء المحسوسات من حقائق ومبادئ وجواهر فاكد بعقله عجز العقل في هذه الامور .

وقد ناقش الفزالي علماء الكلام والفلاسفة بمناهجهم وبفسير مناهجهم ، فاكد قصور سعيهم الى اليقين ، حتى وصل الى ان يراهين الالهيات وامثالها غير فاطمة كبراهين الهندسيات . واذا فيجب الاعتماد على غير العقل لا باغواء العقل ، بل بالصعودية الى ما فوقه ، عن طريق البصيرة ، بمنهج الحدس والذوق . وبهذا جعل الفزالي للدين حق الوجود مستقلا عن العلم فكان في هذا سببا لكانت Kant وحلا للاشكال الذي لم يحله كانط كما يقول الدكتور محمد اقبال .

تجديد - التفكير الديني في الاسلام ( الترجمة العربية ٢٨ ) والنص :  
The Reconstruction of Religions Thought in Islam P 4-5  
( Korner : Kant , P. 106 - 120 ) وانظر أيضا

ثم ان الفزالي حين قرر الجاهم العوام عن علم الكلام اجاز لغير العوام من انخواص دراسة هذا العلم . والخواص هنا درجات وليسوا هم الصوفية وحدهم . ثم ان الصوفية ذاتهم درجات ومراتب . المهم انه اجاز دراسة العلم بشروط أهمها : أن تقع لشخص ما ، شبهة لا يمكن رفعها الا على طريقة أهل الكلام ، او حالة شخص كامل العقل ، راسخ القدم في الدين ، يريد تحصيل طبيعة الكلام ، لكي يداوي بها مريضاً وقع في الشبهات ، او ليفهم بها مبتدئا ، او ليحرس عقيدته وايمانه اذا قصد غوى - اغواءه ( الفزالي : فيصل التفرقة ١٠/٥ ، المنقذ ٢٠/١٥ ) . اما افترض الاساسي من الدراسة على وجه الاجمال ، فهو ( ادراك الحقيقة الدينية ادراكا يؤيده العقل ) ، حتى يكون في درجة العلم الرياضي أو براهين الهندسيات كما يقول .

ولا شك ان موقف الفزالي من العقل الحادس هو موقف ديكرات وبوهمه ووليم جيمس ، وبرجسون ، من فلسفة الدين ، ومن فلسفة العقل المنور او الفائق كما تقول فلسفة هؤلاء المتأخرين ، وكما تؤكد فلسفة اسبنوزا عن المعرفة المباشرة للجوهر ، على نحو ( ما نستقيه من وجود النور بمجرد ادراكنا له ) ( انظر : Goblot : Vocab. philos. P. 24 ، وانظر : Spinoza : Ethique XXXII )

وانظر يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة ٤٠٠ - ٤٠٨ - ٤٢٢ - ٤٢٣ وانظر للمقارنة : الفزالي : ميزان العمل ٣٦ - ٨٤ .

ثم ان موقف الفزالي واضح متصل في ميده الثابت السافر القائل : ( من لم يشك لم ينظر ، ومن لم ينظر لم يبصر ، ومن لم يبصر ففي العمى والضلال ) ( الاحياء ص ٢ - ٢٤٨ - ٢٥٠ - المنقذ ٦٣ - ٦٥ ) وقد اكد هذا ابن خلدون ، الذي لم يجب ناقدنا الحصيف ايضا ، فاعتبره كالفزالي صاحب فلسفة متخلفة - اقول قد اكد هذا ابن خلدون عن الفزالي في وضوح حين قال ( ابن خلدون ) ان اعتراضات الفزالي كانت على منهج الفلاسفة لا على افكارهم ، من حيث انه منهج ينتهي الى الظن لا الى اليقين ، لكنه يعلن في صراحة ( انها اصح ما علمناه من قوانين النظر وان كل المطلوب ممن يدرسها ان يكون متبحرا في امور الدين ... )

الصالحين . ويسير هكذا في شواهد الاثبات والاختيار والآثار وشواهد العمل والشرع دون ان ينتقص ذرة واحدة من سلامة الاخلاص والصدق في الايمان . وعلى هذا فحين نستبعد هذه الاحاديث التي جاء بها لمجرد الترغيب والترهيب بالآيات ، فان كل المبادئ التي استندت الى القرآن والعقل والشرع تحتفظ بقيمتها من ناحية الاثبات والاستدلال . على ان العالم الحجة زين الدين ابي الفضل عبد اترحيم بن الحسين العرافي ت ٨٠٦ هـ قد قام بتخريج هذه الاحاديث في كتاب الاحياء بما يتفق والاصول التي سار عليها الغزالي ، على ضوء المنهج الاسلامي . ( ايدكتور عبد الحليم محمود : الغزالي مجلة تراث الانسانية م ٦/ يونيو ١٩٦٣ ) .

اما فكرة اتواكل ، تلك التي لم يفهمها الناقد اللوذعي ، والتي تراجع عن دعواها شيخنا المرحوم الدكتور زكي مبارك بعد الجري وراءها ( زكي مبارك : التصوف الاسلامي ص ١٧٢/٢/ ١٩٥٤ ) وانظر اساس الانهام في كتابه الاخلاق عند الغزالي ( ٢٤٢ ) - نقول ان فكرة التواكل لم تفهم الا من زاوية هي اقرب الى زاوية اندي قرأ الآية الكريمة ( ويل للمصلين ) وتوقف عند هذا الويل ونادى به ، ولم يعرف ولم يدرك ان الويل فقط للساكنين من المصلين ، الذين عن صلاتهم ساهون . اقول ان حقيقته التواكل عند الغزالي مرتبطة بالعمل ( فلا توكل دون سعي أو دون عمل ) ( وقد يظن الجهال ان شرط التواكل ترك الكسب ، وترك التداوي ، والاستسلام للمهلكات وذلك خطأ . لان ذلك حرام في الشرع ) ( ان وقود التواكل هو اخلاق اتجد والتشهير والعمل ، وليست اخلاق ابدعة والتراخي والعقود ) ( الغزالي : احياء ص ٢٦٦/٢٦٢ ، ص ٢٨٠/٤ ، ٢٨٠/٢٩٠ ، ٢٢٨/٢٤٩ ، ٢٨٥/ ) وانظر ايضا له ميزان العمل ٩٠/٨٠ .

والغزالي الذي دعا الى العمل والتواكل حرصا على سلامة الايمان الصحيح والتوحيد الحق ، هو الغزالي ذاته الذي دعا السلاطين والامراء المسلمين الى استخدام القوة مع الفوضى والرعاع من ذوي الاحلام السائرين وراء ركاب انصاف المصلين من اصحاب المذاهب الهدامة . كما دعا بنفسه الى توحيد كلمة المسلمين في جولاته بين دمشق ، وبغداد ، والاسكندرية .

ونعود فنضع هذه الحقائق امام القارئ الحصيف :

١ - ان الغزالي من الفلاسفة الذين عاشوا آراءهم وفلسفتهم بكل تطوراتها ، ولا يمكننا ان نفهم فلسفتهم بمعزل عن حياتهم ، لانهم يحققون في هذه الحياة نفس الفلسفة ، او لان انفسهم مستخلصة من هذه الحياة . ويمثل هذا معه سقراط في القديم ، واوغسطين في العصر الوسيط ، وكبير كجارد وبرديانف ، في العصر الحديث .

٢ - بدأ الغزالي حياته على اساس علمي منذ صباه ، ( فقد كان التنميش الى معرفة حقائق الامور دأبه ودينه ) - كما يقول - ، ( حتى انحلت عنه رابطة التقليد ، وانكسرت على العقائد الموروثة على قرب عهده بالصبا ) .

٣ - اقام الغزالي نظريته في الاخلاق على اساس نظريته في المعرفة ، التي ربطها بالسعادة . فالحياة النظرية لا صدق لها ولا وجود لها الا بالتحقيق في السلوك التطبيقي لها . وقد وصل في نظريته الى اننا لن نعرف الله حق المعرفة ، الا من خلال العبادة الصادقة والمحبة الخالصة ( فلن يحب الانسان الا ما يعرف ) ( واعبد ربك حتى ياتيك اليقين ) . ولما كانت الحواس هي النوافذ للمعرفة او المصادر الاولى للمعرفة ، فان السعادة الحاصلة من وراء كل مصدر من مصادر المعرفة حسية وعقلية ونوقية - هذه السعادة تتوقف درجتها وقيمتها ومكانتها حسب اساسها ومنهجها وهو في هذا سابق لامثال اسبنوزا وغيره في الفلسفات الحديثة .

٤ - كانت مهمة الغزالي واضحة في انه لم يقف في وجهة نظره الاخلاقية عند تقويم السلوك فقط ، بل اتجه الى ما وراء ذلك فسي البحث ، في مشكلات الطبيعة على اساس من اليقين ، يقين البصيرة والعقل الفاحص الفائق المميز لما يمكن ان تكون اوهاما ويقينيات .

وهذا ما ذهب اليه برجسون حديثا في تفرقة لما بين الاخلاق المغلفة البيولوجية ، التي تتخذ مادتها من الانسان الادنى وتخضع للضرورة الاجتماعية وتقوم على القسر الاجتماعي ، وبين الاخلاق المفتوحة ، التي تعلق على مستوى العقل وتنتج نحو الحياة المساعدة متخذة مادتها من وقود فكر الاطفال والعباقرة واهل العاراج اتروحية . وهؤلاء لديهم القدرات الخاصة على الاحساس بفيض انفعالات جديدة ، زادها ووقودها المصدر الاسمي للحياة ، الذي تصدر عنه شتى ضروب الابداع .

٥ - تشابهت الوضعية المنطقية الحديثة مع الغزالي في الوثوق بالعلوم الصورية من منطقية ورياضية واعتبارها يقينية ، لكن الغزالي سبقهم في ان المعرفة التجريبية ترجيحية احتمالية لا تبلغ مرتبة اليقين ، وخاصة في فلسفته للعلية ، التي سبق بها ايضا العلم الحديث والفلسفة الحديثة .

٦ - حل الغزالي مشكلة الميتافيزيقيا التي انكرتها الوضعية الحديثة وساداتها القدماء ، بان طريق معرفتها والخوض فيها ليس بالمنهج العقلي ، في الوقت الذي افر فيه المعرفة الرياضية والمنطقية عن طريق العقل ، وفي الوقت الذي حدد فيه طريق الحواس للمعرفة التجريبية ، وأكد ان غايتها الترجيح لا اليقين ، مما سبق فيه العلم الحديث ، كما سبق كانط في انه ( الغزالي ) جعل للدين حق الوجود مستقلا عن العلم فيما لم تحل اشكاله فلسفة كانط .

٧ - كان الغزالي موضوعيا ( حتى في ايام ازمته العنيفة ) فهو يكتب مقدمة لكل رأي يؤيده أو يعارضه ، ثم يحلل الرأي اجمالا ثم تفصيلا وبمسك به فقرة فقرة ثم اجمالا ، تأييدا او معارضة ، بكل امانة ، لا يوصف بها المحدثون المتخصصون . وهو حتى في مناقشاته لارباب التصوف ، يؤكد ان غاية التصوف الموضوعية ( الاستقامة في جنب الله ) على سلوك مثمر ، ونفع للآخرين « احياء ص ٤ / ١٠ / المنقذ ٩٥ - ٩٦ » وموضوعيته تتجلى ايضا في ان الملاحظة عنده ثلاثة : المشاهدة وهي المفضولة ، ثم المثبدة وهي القائمة في التجربة العملية ، ثم الملاحظة مع الاشتراك في النشاط وهي أعلى مراتب الملاحظة لانها فاعلية على الطبيعة . يقول الغزالي مثلا ( فان وقع لك الشك في شخص معين او امر معين فلا يصح اليقين الا بمعرفة احواله : اما بالمشاهدة او التواتر او التسامع ) ( المنقذ ١٦٩ ) وهو في التأمل الباطني أو الاستبطان كما نقول يقول : ثم تفكرت في نيتي للتدريس ، فاذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى ، بل باعثها ومحركها طلب اتجاه ( المنقذ ١٥٢ ) . ومن الامثلة عنده للاختبار الاجتماعي قوته ( فاني تبعت مدة طويلة احاد الناس والخلق . اسأل من يقصر منهم في متابعة الشرع ، واساله عن شبهته ، وابحث عن عقيدته . . . ) المنقذ ١٧٥ - ١٨٧ . ومن اصدق امثلة التجربة عنه ( وقد جربت شيئا من النجوم ، وشيئا من الطب فوجدت بعضه صدقا ، فانقذ في نفسي تصديقه وسقط من قلبي استبعاده ) ولعل هذا وامثاله يلقي الضوء على دعوى ايمانه بالخرافات .

٨ - احيا انتصوف على المنهج السنني بعد نكبة التصوف لدى مدارس العلاج ومن سبقها ولحق بها ، حتى أصبح انتصوف لسدى مدرسة الغزالي دينيا ، وحتى كانت رسالة حجة الاسلام انه عمق روحانية الاسلام في العبادات والمعاملات بعد ان جمد على نهج الجامدين من السلفية الظاهرية من الفقهاء ، وبعد ان جمع على مناهج امثال مدارس البسطامي والحلاج ، ومدارس الفلاة من الشيعة ، وحتى ان الدارس لاي باب من ابواب الفقه كالعبادات والمعاملات . كما يقول ويؤكد استاذنا الدكتور احمد امين ( ظهر الاسلام ص ١٦٥/٤ - ١٦٩ ) يرى الغزالي ( يعرضه عرضا علميا ، فيسأل لا كعرض الفقهاء ) وحتى كان روح المدرسة الاسلامية العربية الاثر اصالة وابداعها كما يؤكد لنا وللتاريخ ارنست رينان مؤرخ ابن رشد . ( ابن رشد والرشدية / - ١١٢ / الترجمة العربية ) .

واعود فأقول صادقا مخلصا ليس لمن لا يعلم حجة على من يعلم والسلام على من اتبع الهدى .